الفصل السادس

الأحلام والتنبؤ بالغيب

لقد كثر الكلام عن الأحلام وعلاقتها بالتنبؤ بالغيب وانبرى نفر من العلماء المبرزين لدراسة هذه الظاهرة العجيبة ووضعوا فيها الكتب والمطولات وضمنوها كثيراً من الأحلام التي تحققت عن آخرها.

ولعل أشهر من قام بهذه الدراسة هو الفلكي الفرنسي الشهير "كامبل فلاماريون" في كتابه "لغز الحياة النفسية" **The Riddle of Soul Life** إذ كان من المؤمنين بأن هناك رؤى صادقة تتحقق عن آخرها في العالم المحسوس. ومن الأمثلة التي اوردها في كتابه المذكور تلك الحادثة التي ذكرها على لسان شاهدة معتمدة موثوق بكلامها إذ قالت:

"حوالي أواخر شهر نوفمبر من عام ١٨٧١ وأعتقد أن ذلك كان في يوم الأربعاء الموافق الثانيو العشرين من نوفمبر، كنت في ضيافة أسرة المستر دافيدسن في نيو أورليانز، وقد حضر لزيارته نفر من الأصدقاء من بينهم مدام ثلتون وقد قصت على الحاضرين عدة أحلام رأتها في منامها وقالت أن هذه الأحلام قد تحققت عن آخرها، ولكن الحاضرين لم يكونوا في مركز يسمح لهم بالتحقق من صدق ما ذكرته هذه السيدة. وبعد أن أفاضت في ذكر أحلامها التي تحققت سألها المضيف:

إني أسألك يا مدام ثلتون هل رأيت في منامك حلماً يتصل بي؟

فقالت: "إنني رأيت البارحة فقط يا مستر دافيد سن حلماً يتصل بك".

وقد سألها الحاضرون بلهفة أن تقص عليهم ما رأته في حلمها.

فقالت: "لقد رأيت في منامي أنني سوف أعود لزيارتكم لدعوة عاجلة وذلك بعد ستة أسابي من اليوم.

فقال المضيف: "إن هذا الحلم من السهل تحققه" ثم مال على أحد الحاضرين وقال: "أرجو أن تذكر لنا متى سيكون ذلك اليوم الموعود؟" وعند ذلك أخرج أحد الحاضرين مفكرته وقال إنه سيكون في يوم الأربعاء الثالث من شهر يناير عام ١٨٧٢.

"حسناً سوف نختبر جميعاً صدق أحلام هذه السيدة.

وعند ذلك تابعت مدام ثلتون الحديث قائلة: "مهلاً أيها السادة. إنني رأيت في منامي أيضاً أنني عندما دخلت البيت وجدته خالياً وبحثت من المستر دافيدسن ولكني لم أجده وأخيراً رأيت وسط قاعة الاستقبال تابوتاً معدنياً كبيراً. وكان غطاء التابوت محكماً ولم أر شيئاً آخر إلى جانب ذلك ولكني أدركت أنك مسجي داخل هذا التابوت".

وعند ذلك انفجر المضيف ضاحكاً وشاركه في ضحكه جميع الحاضرين ثم وجه دافيدسن الكلام إلى زوجه متهكماً:

"إني أرجو منك تابوتاً غير معدني لأني لا أحب التوابيت المعدنية، غني أريد تابوتاً بسيطاً من الخشب".

وقد وعدته زوجه بذلك ضاحكة وقالت إنها سوف تلبي رغبته في حالة ما إذا كانت ستخلفه.

ثم تابعت مدام ثلتون الحديث قائلة: "إنني لم أشاهد سوى سيدة واحدة في قاعدة الاستقبال فوقفت إلى جوارها. وكان منقوشاً على غطاء التابوت ست ورود فضية".

وقد ضحك الجميع أيضاً من هذه الحلية العجيبة ولكن مدام ثلتون ظلت على هدوئها وقالت: "ولقد عجبت أنا أيضاً عندما شاهدت ذلك في الحلم".

ولقد تفرقنا بعد ذلك بعد أن تواعدنا على أن نلتقي ثانية يوم الأربعاء الثالث من شهر يناير كما جاء في حديث هذه السيدة.

وحدث في اليوم الثاني من شهر يناير عام ١٨٧٢ حادث محزن للمستر دافيدسن إذ دهمته قاطرة فأزهقت روحه.

وفي صباح اليوم التالي وضع جثمانه في تابوت. وقد رغبت أسرته في أن لا يرى أحد وجهه المشوه نتيجة لهذا الحادث. وقد آليت على نفسي أن أمكث إلى جوار هذا التابوت وظللت في مكاني حتى بعد أن احكم غلق التابوت.

وقد حضرت مدام ثلتون إلى المنزل في اليوم الموعود فوجدت التابوت في قاعة الاستقبال وليس إلى جانبه سواى. فجاءت ووقفت إلى جانبي وظللنا نحن الاثنتان وقوفاً إلى جانب التابوت دون أن تنظر واحدة منا إلى الأخرى. وفجأة لمست مدام ثلتون يدي وأشارت إلى ست

وردات فضية تزين غطاء التابوت المعدني فنظرت إليها متسائلة فتمتمت قائلة: "ألا تذكري الوردات الست الفضية التي رأيتها في منامي بوضوح؟"

وبعد ذلك بأسبوعين قالت لي أرملة المستر دافيدسن:

"ألا تذكري ذلك الحلم العجيب إن كل شيء قد تحقق كما رأت صديقتنا في منامها حتى التابوت فإنني لم أنس في حزني وصية زوجي التي أوصاني بها. ولقد سألت الحانوتي عن السبب الذي من أجله أحضر هذا التابوت المعدني على الرغم من طلبي إعداد تابوت خشبي فعلمت أنه لم يكن من الممكن العثور على تابوت خشبي بالمقاس المطلوب فلم يجد سوى هذا التابوت المعدني فاضطر تحت ضغط الظروف إلى استخدامه". ولقد قام المستر فلاماريون بالتحقق من صدق هذه الرواية بنفسه وكان لا يزال من شهودها الثلاثة عشر تسعة أشخاص على قيد الوجود فأكدوا جميعاً ما سمعوه من مدام ثلتون وما كان من تحقق حلمها عن آخره.

وهناك حادثة أخرى ذكرها هنريش كارل بروش **Heinrich Karl Brugsch** أحد علماء الآثار المصرية في القرن التاسع عشر في مذكراته وهي تتصل بحلم رآه الخديو إسماعيل عام ١٨٧٥ حيث قال:

" لقد كنت في طريقي إلى جوتنجن لتوديع أسرتي التي كانت تعيش هناك على أن أبحر بعد ذلك مباشرة من ميناء بريمن على ظهر إحدى السفن. وعندما كنت في طريقي إلى محطة السكة الحديد لأركب القطار الذاهب إلى بريمن تلقيت برقية ففتحتها على الفور لأرى مضمونها قبل أن أركب القطار وقد كانت هذه البرقية قصيرة وحاسمة:

"إن الخديو يرجوك العودة إلى القاهرة على الفور".

فأخذت أول قطار ذاهب إلى تريستا لأركب أول باخرة ذاهبة إلى مصر. ولما كانت لم أقرأ أية صحيفة من الصحف منذ أن غادرت جوتنجن فقد عجبت أشد العجب عندما أخبرني ربان السفينة التي ركبتها إلى مصر أن آخر سفينة غادرت بريمن وهي التي كنت عازماً على ركوبها لو كنت قد سافرت إلى بريمن قد حدث بها إنفجار هائل قتل وجرح الكثيرين من ركابها. فشكرت الله على أن دعوتي إلى الذهاب إلى مصر قد أنجتني من شر كنت معرضاً له من جراء هذا الانفجار.

ولما وصلت إلى القاهرة ذهبت على التو لمقابلة الخديو إسماعيل حسب أوامره وكنت متوقعاً أن أتلقى منه بعض التوجيهات الخاصة التي كان يحب أن يوجهها إلى بنفسه ولكنني لم أسمع منه إلا أنه سعيد أن يراني سليماً معافياً وأنه ليس لديه ما يقوله أكثر من ذلك.

لقد رأى الخديو أن يستدعيني عن طريق هذه البرقية وذلك بسبب حلم رآه ذات ليلة جعله يطلبني على جناح السرعة وإلا حل بي شر يتربص بي".

والواقع أن هناك كثيرين من الناس يرون الرؤى فتتحقق كما رؤوها في منامهم الأمر الذي دعى الكثير من الفلاسفة والمفكرين إلى تحليل هذه الظاهرة العجية والإفاضة في تفسيرها.

ولم يكن حظ فلاسفة المسلمين من هذه المسألة بقليل بل إنهم أفاضوا الكلام في الرؤيا الصادقة وجعلوا هناك صلة قوية بين الرؤيا

الصادقة والتنبؤ بالغيب استناداً على القول بأن الله يطلع عباده على غيبه سواء أكانوا في يقظة أم في منام، وهم يذهبون إلى أن الحلم إذا تحقق في الواقع كان هذا الحلم عبارة عن رؤيا صادقة، أما إذا لم يتحقق فهو عبارة عن أضغاث أحلام ووسوسة شيطان لا تقبل تأويلاً ولا تستحق اهتماماً وهذا هو ما عليه أكثر المفكرين المسلمين.

وقد صنف الفلاسفة والمتكلمون الرؤيا على أصناف فقالوا إن بعضها ما يكون من وحي الله والبعض الآخر من إلهام الملائكة كما أن الرموز منها الذي يعوزه التعبير يكون من الملك أو من الأرواح فيما يقول البعض.

وقد جاء في الصحيحين عن النبي أنه قال:

"الرؤيا ثلاثة: رؤية من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا ما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيراه في المنام".

وقد عزى رجال الشرع الرؤيا الصادقة إلى الله القادر على كل شيء فهو يخلق في قلب النائم أو في حواسه الأشياء، كما يخلقها في اليقظان وهو سبحانه يفعل ما يشاء فلا يمنعه من ذلك نوم ولا غيره وربما يقع ذلك في اليقظة كما يتراءى في المنام.

وذهب آخرون إلى أن الرؤيا الصادقة تقع للمرء وهو نائم ذاهل العقل والحس معاً، إلا أن النائم وإن ذهب عقله الذي به يتعقل ويفهم وحسه الذي به يدرك صور المحسوسات فإن نفسه تكون يقظة منتبهة تقوى على التعقل والفهم وتقوم مقام الحواس من سمع وبصر ولمس

ونحوه في نقل آثار الجزئيات. ذلك أن روح النائم تسرح في الدنيا وتمتد منبسطة خارج الجسد وإن لبث جزء منها على اتصال به فتدرك في النوم مكنونات الغيب المحجب.

وقيل إنها ترحل عن الجسد إلى عوالم الغيب فإن تيقظ النائم فجأة قبل أن تعود من رحلتها أدركه الجنون. وقيل بل تصعد الأرواح إلى السماء السابعة حتى تقف بين يدي الله ويأذن لها في السجود. فإذا سجدت بشر الطاهر منها بالغيب فيراه النائم بروحه ويتفهمه بقلبه.

أما الصوفية فعندهم أن النفس من عالم المجردات والمعقولات فهي تستطيع أن تدرك المدركات التي من جنسها إذا لم يشغلها شاغل من علائق البدن فإذا قويت بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية اتصلت النفس بأبيها المقدس وبالنفوس الفلكية وتلقت عنها المغيبات كما يقع لها هذا في يقظتها.

وفي الحديث النبوي: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن لا يشعرون".

وهذا شاهد عدل على أن يقظة الوجود نوم ولكن الناس يحسبون وهماً أن المعرفة تقع إبان اليقظة، مع أن المرء لا يعرف خلالها شيئاً من عالم الغيب وما يبصره بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يدرك عن طريق الحواس. واللوح المحفوظ مرآة نقشت عليها المقادير بغير حروف ولو ظهرت تجاهها مرآة أخرى لا نكشف فيها صور الأولى إلا إذا قام بينهما حجاب. وليست المرآة الثانية إلا القلب والحجاب هو الشهوات والحواس. ويتجلى هذا في اليقظة أما النوم ففيه يرتفع الحجاب ويزول

وبذلك تظهر في مرآة القلب صور اللوح المحفوظ وتنكشف للنفس آفاق المجهول، فإذا سلمنا بأن النفس تكون عند النوم في أعظم حالاتها زال العجب من وقوع العلم بالغيب إبانه ولكن الرؤيا لا تقع لكل نائم ولا تجيء في كل نوم إنما تعرض للمؤمنين عن طريق الملائكة. فأما المؤمنون فإن نفوسهم قد صفت وتحررت من ضغط الأفكار الفاسدة وصدق الرؤيا يكون بمقدار ما يكون هذا الصفاء.

ويختلف الصوفية في تقدير الرؤيا فهم يضعوها دون الولاية حيناً وفي مرتبتها أحياناً فهي عند بعضهم نوع من الكرامات التي تقع للأولياء. والنفس التي تقوى على إدراكها متى عظمت وترقت في مجال الروحانيات أضحى صاحبها ولياً وهكذا يدرك في اليقظة متى قوى الأمر عنده – ما يدركه النائم في نومه ولئن كان هذا نادراً إلا أنه يقع لأهل الطريق ولا يشمل الناس جميعاً فإنهم يعجزون عن احتمال ملك الإلهام الذي يهبط على الأولياء أيقاظاً فيهبط على سائر البشر نياماً وإن جرت العادة فيما يرى البعض أن يسمى وحى الإلهام رؤيا إن وقع أثناء النوم وتخيلاً إن جاء إبان اليقظة.

ولعل ما ذكره ابن خلدون في هذا المقام يعد نموذجاً لهذا النوع من التفكير فقد ذكر في مقدمته:

"للعقل نطاق يحسن التفكير في مجاله، إنه يدرك العلم الذي يستند إلى المشاهدة، ويعتمد على التفكير النظري، هذه هي مدارك العلماء فإن تجاوز العقل هذا النطاق إلى ما وراءه ضل سبيلاً. ووراء العقل نطاق يرتاد المرء مجاهله بنوع من الإدراك فوق مدارك البشر، وهو يتوافر في الأنبياء

ويتهيأ للأولياء ومع الناس نموذج منه يبتدئ فيما يقع لهم من صادق الأحلام وهم نيام. واهتداء النفوس إلى هذا العالم العلوي غير عسير لأن في النفس البشرية استعداداً للإنسلاخ من البشرية إلى الملكية لتصير ملكاً بالفعل في لمحة من اللمحات وعندئذ تتجه إلى الملأ الأعلى وتتصل به فطرة لا اكتساباً. وبهذا تتجاوز مثل هذه النفوس مرتبة العلماء الذين يعجزون بطبعهم عن بلوغ الإدراك الروحاني لاتصالهم بالمدارك الحسية الخيالية التي يؤدي إلى اكتساب العلوم التصورية والتصديقية مما ينتهي بالأوليات ولا يتجاوز نطاقها فإذا ترقت النفس تجاوزت هذا المجال واتجهت بالحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى إدراك الحس فيتسع نطاق إدراكها بالفطرة حتى يتجاوز الأوليات التي يقف عندها افدراك البشري الأول إلى فضاء المشاهدات الباطنية وتلك هي مدارك الأولياء أصحاب العلوم اللدنية والمعارف الربانية ويظفر بها أهل السعادة في البرزخ بعد مماتهم. وقد تترقي النفس المفطورة على الإنسلاخ من البشرية – جسمانيتها وروحانيتها – إلى الملائكة من الأفق العلى لتصير في لمحة من اللمحات ملكاً بالفعل، فتشهد أهل الملأ الأعلى في أفقهم وتستمتع إلى الكلام النفسي والخطاب الإلهي في تلك اللمحة وتلك هي نفوس الأنبياءفي حال الوحى التي فطروا عليها ولم يظفروا بها صناعة واكتساباً.

فالنفس ذات روحانية مدركة من غير آلات بدنية وأدوات حسية وتكون عندئذ أقل في الدرجة من نفوس الملائكة أهل الأفق العالي الذين لم يستكملوا ذواتهم بشيء من مدارك البدن او غيره. وهذا الاستعداد

السالف يقوم في النفس ما دامت في البدن وهو على صنفين. صنف يتهيأ للأولياء وآخر عام في البشر جميعاً وهو الرؤيا الصادقة. أما الاستعداد الذي يتهيأ للأنبياء فإنه يكون بانسلاخ النفس من البشرية إلى الملكية المحضة وهي أعلى الروحانيات".

ونجد مثل ذلك عند الغزالي فهو يصرح بأن الرؤيا طور ضعيف من أطوار النبوة وبينها وبين النبوة مرتبة واضحة المعالم يقوم فيها إلهام الأولياء الذي يعتبر ضعيفاً بالإضافة إلى الوحي النبوي قوياص بالقياس إلى وحي الرؤيا.

ويذهب الفلاسفة إلى أن الحواس تنقل للنفس صور المحسوسات فتنشغل النفس بالتفكير فيها إبان اليقظة، فإذا وقع النوم تعطلت الحواس عن تأدية وظيفتها فتفرغ النفس من هذا التفكر وتنصرف إلى ما وراء الحس من جواهر روحانية شريفة عقلية وهي اللوح المحفوظ عند رجال الشرع – وفيها تنقش صور الموجودات كلها، فإذا اتصلت النفس انطبعت فيها بما تحمل هذه الجواهر من مكونات الغيب ولاسيما ما كان يعني النفس منها.

وقد تصدق الصورة الجزئية التي تقع للنفس من غير حاجة إلى التعبير، وربما بدلت المخلية بها مثلاً يعوزه التعبير ليتكشف عن حقيقة معناه. وهم يقولون بأن من عناية الله بالإنسان أن يقع الإنذار في الرؤيا إذ المقصود به أن يستعد المرء لملاقاة المستقبل ويتهيأ لدفع شره، هكذا أشار يوسف على ملك مصر بأن يستعد للسنين السبع المجدبة بعد أن رأى الملك في منامه سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف مهازيل وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات.

على أنه لا يبعد أن يقع الإنذار عن الماضي والحاضر متى كان

مجهولاً لنا وهو أكثر ما يكون في الأمور المستقبلة التي يختص إدراكها بالقوى الفكرية الجزئية التي تفيد في معرفة الضار والنافع من مقبل الأمور.

والخلاصة أن مفكري الإسلام قد انتهوا إلى أن للنيام القدرة على الاتصال بالعقل الفعال متى قويت المخيلة عندهم فإن أفرطت المخيلة في قوتها تيسر لهم هذا الاتصال إبان اليقظة وكان التنبؤ ويقع هذا للأنبياء والواصلين من الأولياء.

ومهما يكن من المر فهناك كثير من الناس ممن يوثق في صدق رواياتهم قد رأوا في منامهم رؤى كثيرة تحققت في العالم المحسوس. وقد قيل إن أم الإمام الشافعي قد رأت في منامها بعد أن حملت به أن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة. فقال المعبرون إن ابنها سيكون عالماً فذاً في مصر ينشر علمه في أكثر البلاد طولاً وعرضاً فكان الأمركما قالوا.

وذكروا أيضاً أن السيدة عائشة رأت سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فعبر أبوها رؤياها بموته وموت الرسول والفاروق عمر بن الخطاب ودفنهم في حجرتها جميعاً. وقد صح فيما بعد هذا التعبير.

وقد فاخر الشعراني – وهو من المتصوفة المشهورين – بوقوع كثير من الرؤى له. من ذلك أنه كان وصياً على أبناء أخيه فحرم عليهم مغادرة حجرتهم، فرأى في تلك الليلة الشيخ أمين الدين يفتح لهم باباً في خلوته ليخرجوا منه فأدرك أنه أخطأ في أمره السالف وعدل عنه.

وكان إذا اغتاب أحد شخصاً بحضرته وساورته الشكوك فيما سمع رأى في ليله من اغتيب يلبس البياض فيدرك كذب المغتاب.

وقد روى الرحالة لين Lane في كتابه "عادات وشمائل المصريين المحدثين" The manners and Customs of modern Egyptians أن الإمام الشيخ المهدي قد قص عليه قصة خلاصتها أن أحد الأولياء عند العامة وهو الشيخ أحمد البهي – كان يحضر دروس الشيخ الأمير الكبير فسمعه يرخ حياة الحسين ويعقب قائلاً إن رأسه غير موجود بالمشهد الحسيني المعروف في القاهرة وكان البهي يعتقد غير ذلك فآلمه ما سمع ولكنه لم يعترض على الشيخ احتراماً لشهرته وتقديراً لغزارة مادته. وعند انتهاء الدرس إنطلق إلى بيته وأقام الصلاة ودعا ربه – وهو جاث على ركبتيه – أن يريه رسول الله في رؤيا صادقة يعرف منها حقيقة هذه المسألة، فلما استسلم للنوم رأى أنه في الطريق إلى زيارة المشهد الحسيني فلما دنا من قبته رأى النور يشع منها فدخل المزار، فرأى شريفاً طلب إليه – بعد تبادل التحية – أن يقرئ رسول الله السلام، فنظر إلى القبلة فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام جالساً على عرشه، وقد وقف رجل عن يمينه وآخر عن يساره فجهر بقوله. السلام عليك يا رسول الله وكررها ثلاث مرات والدمع يجري على خديه، وسمع الرسول يقول له: أدن مني فقاده الشريف وأجلسه في حضرته،فحياه الشيخ ورد الرسول تحيته، وقال عوضك الله خيراً عن زيارتك يا بني. فقال له: يا رسول الله، هل رأس الحسين موجود هنا؟ فأجاب الرسول بالإيجاب.

فامتلأ الرجل غبطة وطمأنينة واستأذن الرسول في أن يقص عليه ما قرره شيخه المير في درسه. فلما سمع الرسول قصته، طأطأ إلى الأرض رأسه، ثم رفعه وقال إن الناقل مغفور له. فأحس الشيخ وكأن كيانه يهتز من فرط الرضا والغبطة فاستيقظ من نومه وانطلق مسرعاً إلى دار شيخه الأمير. فلما بلغ الباب دقه بعنف أفزع سكان البيت. ولما دخل الفناء أخذ ينادي شيخه بأعلا صوته فلما علم الشيخ بصاحب الصوت أدهشه مجيئه في هذا الوقت المبكر وظن سوءاً. وأخذ البهي من فرط التأثر يحدث شيخه دون أن يقرئه السلام أو يقبل يده كما جرت عادته معه. وقص رؤياه منبئاً شيخه بأن الشريف الذي كان بالباب هو الإمام علي، والواقف عن يمين الرسول هو أبو بكر، والواقف عن يساره عمر، وأنهم كانوا في زيارة الحسين. ولما دخل القبة قال: "السلام عليك يا ابن بنت رسول الله، إني أؤمن بأن رأسك الكريم مدفون هنا، ورؤيا البهي شاهدة على ذلك لأن رؤيا الرسول حق".

هذا ولم يكن الاعتقاد في الرؤى وقفاً على العرب أو المسلمين بل شاركهم في هذا الاعتقاد كثير من الأمم القديمة. فقد كان الإغريق يرون أن الأحلام هي من فعل الإله زيوس كبير الآلهة. وقد ذكر هذا هوميروس في إلياذته أكثر من مرة، كما انتشر هذا الاعتقاد في جميع بلاد الإغريق.

وكان للمصريين القدماء إله للأحلام هو "بس" **Bess** وقد نقشت صورته على كثير من الوسائد التي يضع المصريون عليها رؤوسهم. وكان للبابليين أيضاً إله الأحلام هو الإله "ماخر" وكذلك كان لمعظم الشعوب

القديمة آلهة خاصة للأحلام على اعتبار أن هذه الآلهة هي الباعثة على ما يراه النائم من أحلام.

وكان الحكام في إسبرطة ينامون عادة في معبد خاص اعتقاداً منهم أنهم يرون الرؤى الصادقة إذا ناموا في ذلك المعبد. وكان لهذه الرؤى أثرها المباشر في تسيير الأمور وتوجيه سياسة إسبرطة. وقد بلغ من اعتقاد أهل أثينا في الرؤى أن محكمتهم العليا كانت تأخذ بما تقرر الرؤيا من إدانة المتهمين أو تبرئتهم كذلك كان أهل روما يستجيبون لما تشير به الرؤى. وهكذا كانت الأحلام من الأمور التي شغلت بال الناس في مختلف الشعوب منذ القدم كما كان التسليم بالرؤيا الصادقة جزءاً من عقيدة أكثر المتعلمين والجهال على حد سواء حتى الوقت الحاضر.

ومما يتصل بهذا الموضوع إدراك المجانين والمصروعين للغيب وقد قالوا في تعليل ذلك أن نفوس المجانين ضعيفة التعلق بالبدن لفساد أمزجتهم في أغلب الأحوال ولضعف الروح الحيواني فيها وبذلك تكون غير مستغرقة في الحواس ولا منصرفة إلى التفكير في نقصها ولذلك فالمجنون يكون كالمبهوت الغافل عما يرى ويسمع ومثل هذا قد ينكشف له من الجواهر الروحانية شيء من الغيب فيجري على لسانه وهو فيما يشبه الذهول.

ومن هؤلاء أيضاً المرضى والمشرفين على الموت فقد يذكر المريض أنه يرى ويسمع أشياء ولا شيء من ذلك في واقع الحس وقد ردوا هذا إلى فعل المخيلة على اعتبار أنها مصدر الصور الباطنة. وذكر الأطباء أن بعض المرضى يخبر بالغيب وبالأمور قبل وقوعها فيصدق قوله.

ويذكرون أن القتلى عندما يشرفون على الموت يلقون أنباء تتصل بعالم الغيب. ويقال إن بعض الملوك الظلمة قد قتلوا بعض المساجين ليتعرفوا من كلامهم إبان قتلهم على ما خفي عليهم وقد أنبأهم هؤلاء بما يثير الدهشة.

والمعروف على سبيل التحقيق أن الموت متى نزل بالبدن ذهب الحس وزال حجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها وبذلك تطلع النفس على عالم الغيب. وليس عجيباً أن يؤدي الموت إلى كشف الغيب فإن من يموت، يتحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بعينه الظاهرة بل يرى بالعين التي خلقت في كل قلب وليس يمنع إبصارها إلا غشاء الشهوات. وبين القلب واللوح المحفوظ الذي نقش فيه كل ما قضى الله إلى يوم القيامة يقوم حجاب قد ينكشف في المنام أو اليقظة ولكن تمام ارتفاع هذا الحجاب إنما يكون بالموت كما يقول الغزالي في كتابه كيمياء السعادة.